الأَديبْ و المُفَكِّرْ الرَّاحِل
رَمَضان عَبْدِ الرَّحْمن لاَوَنْد
مجالـس الطـرب عند العرب

الحلقة (2)

مقدمة البرنامج...

مؤثـــرات.....

سعدون:"وكأنه يتابع حديثاً له" هكذا ذهب رحمه الله نظيف طاهر الذيل طيب النفس. كان يحي بن عمر يأتي إلينا في المنستير يصوم رمضان وكان يحدثّنا، فممّا حفظت عنه أنّه قال بعد أن رفع الحديث: "إنّ الله تبارك وتعالى يقول: يا عبدي تعمل عمل الفجار، وتطلب منازل الأبرار.. إنّك لا تحصد من الشوك الرطب، كذلك لا تنال الفجار منازل الأبرار"..

الحارث: لعلك تريد يا ورجيني أن تعود بنا إلى أيام المتصوّفة والنساك؟

سعدون: وهل لنا يا حارث من شفعاء عند الله غير أمثال يحي بن عمر. والله لا قمنا من هنا حتى أسمعك بعضاً مما قلته فيه من شعر..

الحارث:"يضحك" وهل تظن يا سعدون أنّ إنشادك الشعر شيء يؤذيني؟ كلا والله فهي فرصة ذهبية كم أتمنى أن تسنح لي في كل مناسبة..

سعدون: اذاً اسمع بعض ما قلته في قصيدتي التي رثيته بها.

الحارث: لعلك تقصد تلك التي مطلعها:

عين ألم بها وجد فلم تنم تبكي بدمع كقطر الدرّ منسجم

سعدون: يتابع الإنشاد:

لتبك يحي عيون بالدموع فإن غاضت مدامعها فلتبكِهِ بِـدم

الحارث: "يقاطعه" اسمع يا سعدون..

سعدون: أفلا تستطيع الانتظار؟

الحارث: إذا كنت مصراً على إنشاد هذا الشعر فلنستمع إليه مغنّى من قِبَل واحدة من جواريك.

سعدون: لا أعلم أنّ جارية من جواري قد غنّت شعري هذا من قبل؟

تم تحميل هذا الملف من مكتبة الأديب الراحل رمضـان عبدالرحمن لاوند (سـيّد المنابر) www.RamadanLawand.com
مع الاحتفاظ بكامل حقوق الطبع و الملكية الفكرية ،لمزيد من المعلومات يرجى مراسلتنا :info@RamadanLawand.com

الحارث: "يضحك" لعلّك آخر من يعلم؟

سعدون: "غاضباً" أوَتسخر بي يا حارث؟

الحارث: "يسكت الضحك عنه" ما قصدت إلى إزعاجك والسخرية بك. فأنت أعلم بقدرك في نفسي.

سعدون: "يهدأ" قل لي إذاً كيف علمت بما أنبأتني به؟

الحارث: حسن يا سعدون.."فترة صمت"هل تذكر"سلافة" جارتك القديمة؟

سعدون: وكيف لا أذكرها؟

الحارث: إنّها هي التي غنّت بعض رثائك في يحيى بن عمر.

سعدون: وكيف لقيتها وأنا التي بعتها في غرناطة من زمن بعيد؟

الحارث: ألا تذكر قول الشاعر:

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنّان كلّ الظنّ ألّا تلاقيا؟

سعدون: طبعاً أعرفه..

الحارث: لقد أرادت المصادفة أن يحملها إلى أحد التجار في غرناطة. لأنّ إرادة الله قد سبقت في أن تعود إلى سوسة من أفريقية.

سعدون: ولماذا لم تخبرني بذلك؟

الحارث: لأنّني كنت أعلم كراهيتك لوجودها بالقرب منك بعد مناكرتها لك.

سعدون: وهل ما تزال تحت رعيّتك؟ لقد ذهب الماضي بكلّ ما فيه يا حارث..وكم أتمنى لو أستمع إلى صوت من شعري تردّده سلافة..

الحارث: لست ممن يكذب في الحديث يا سعدون. فإذا كنت راغباً في الاستماع دون موجدة فهي قريبة منك. ولعلها تستمع إلى حوارنا.

سعدون: أقسمت عليك إلا أحضرتها فأسمعتني بعض غنائها في شعري.

الحارث: "يصفق ويرفع صوته" يا سلافة أعلم أنّك قريبة منا. فاخرجي إلينا وأخرجي معك عودك أيضاً.

سلافة: "فترة صمت..ثمّ على استحياء" السلام عليكما ورحمة الله.

الحارث وسعدون: وعليك السلام.

سعدون: "فترة صمت" كيف أنت يا سلافة؟

سلافة: الحمد لله يا سيدي..

سعدون: لعلّ الايام قد أنستك ما كان منا بالأمس البعيد.

الحارث: سلافة يا سعدون فتاة طيبة القلب والحقد لا يعرف طريقه إليها أبداً.

سعدون: حسنٌ يا سلافة..هل تقولين لي كيف غنّيت شعري في يحيى بن عمر؟

سلافة: كنت معجبة بيحيى رحمه الله كمثلك في شأنه. فلما توفي وقلت فيه شعرك نذرت ألا أغني غير الشعر الذي يرثيه رحمه الله.

سعدون: الآن فهمت..أمن أجل ذلك كنت ترفضين الغناء حين أدعوك إليه؟ ولماذا لم تخبريني بنذرك؟

سلافة: لقد خفت من غيرتك..

سعدون: سامحك الله يا سلافة..وهل تظنين أنّني أغار من ذكرى رجل صالح ذهب إلى ربه دون عودة؟

الحارث: هيه.. وهل دعَونا سلافة لتعودا معاً إلى ذكريات الأمس؟

سعدون: صدقت يا حارث..

الحارث: إذاً نسمع سلافة تغني بعض شعرك في رثاء يحيى رحمه الله.

سعدون: هل أنت مستعدة يا سلافة؟

سلافة: كلّ الاستعداد.

الحارث: إذاً أسمعينا بعض ما غنّيت فيه..

مقدّمة موسيقية تشترك فيها الآلات الوترية والنفخية..

سلافة: تغنـــي..

يا موت! أثكلتنا يحيى وكان فتى في بلدة الغرب مثل البدر في الظلم

وكان يحيى إذا خفنا لنا حرماً نلجأ اليه، فقد صرنا بلا حرم

وكان يحيى لنا سيفاً يعز به الدين الحنيف ويحمي كلّ مهتضم

وكان يحيى لنا حرزاً وكان لنا كنزاً وكان كالغيث في الأزم

لتبكِ يحيى عيون بالدموع فإن غاضت مدامعها فلتبكه بدم

سعدون: "يصفق" أحسنت يا سلافة..قد والله ارتفعت بشعري فجعلت منه سحراً من السحر.

الحارث: الآن وقد علمت ما علمت فهل سكنت نفسك يا سعدون؟

سعدون: إنّها لم تسكن وحسب يا حارث بل تضاعف تقديرها لسلافة..

الحارث: وبعد..هل ما تزالين يا سلافة على عهدنا بك من فنون الغناء؟

سلافة: أنت تعلم يا سيدي أنّني ما أزال على العهد..

سعدون: دعها وشأنها يا حارث فإنّ في دار صديقنا عثمان من ينتظرنا هذه الليلة..

الحارث: ما قصدت إلى إحراجها..ولكنه سؤال طرحته شأني معها في كل لقاء..

سعدون: حسن يا حارث..ألا تخرج بنا إلى دار صديقنا عثمان؟

الحارث: الآن يا سعدون..

نقلة موسيقية.....همسات وضجيج خفيف كما يكون في مجالس الشراب والفاكهة والطرب ثم ينخفض الصوت دون أن يغيب..

سعدون: لماذا تبتسم يا حارث؟

الحارث: تذكرت وأنا أنظر إلى القوم أمامي تلك المفارقة بين مجلسنا هنا و مجلسنا هناك في المنزل..بين الصخب في دار عثمان والهدوء الرصين في داري..

سعدون: "ضاحكا" ولعلك تذكر معها قول أبي نواس:

فخير هـذا من الشر ذا فإذا الله قـد عفـــا

الحارث: ربما كان هذا هو الطريق إلى الله؟

عثمان: "يرفع صوته" اسمعوا يا قوم..هذا صديقنا سعدون الورجيني شاعر الحزن والسرور..وهذا صديقنا الحارث صاحب الذائقة الرائعة..إنّه خير من يتذوق الشعر الجميل والنغم الكريم..

أصوات: أهلاً وسهلاً..

صوت: أهلاً بك يا ورجيني..

صوت: أهلاً بالحارث صاحب الاريحية وصديق المحبين..

سعدون والحارث: السلام عليكم ورحمة الله.

أصوات: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته..

تهدأ الأصوات بعد قليـــل.....

عثمان: الآن زادت ليلتنا طيباً أيها الإخوة والأخوات..فقد انضم إلينا الشاعر سعدون الورجيني وصديق الجميع الحارث بن حماد.

سعدون: لعل من الأجدر بك يا عثمان أن تذكر القوم حين تستقبلنا بقول القائل: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه.

عثمان: هذا تواضع القادر يا سعدون..

صوت: بل أنت نجم مجلسنا يا ورجيني.

صوت: اجلس يا حارث وانضم إلى جمعنا.

ترتفع أصداء ألحان مختلفة يدوزن بها الموسيقيون آلاتهم..

الحارث:"يتحدّث فيعود الهدوء شيئاً فشيئاً" ومن هو مطربنا اليوم يا عثمان؟

عثمان: إنّه أمامك يا حارث..

الحارث:"كمن فوجئ بمن رآه" أهذا أنت يا ابن المهدية..لا عدمناك صديقاً ورفيقاً وأنيساً..

ابن المهدية: وهل يحلو الأنس إلا بك وبأخينا الورجيني..

عثمان: ألا تسمعنا بعضاً من شعرك يا سعدون؟

سعدون: فأين ما عوّدتنا عليه يا عثمان؟

عثمان:"يصفق بيديه" يا غلام..رأيت بالكأس الفضية واملأها لشاعرنا العظيم..

سعدون:"فترة صمت" إنها كأس أنيقة حقاً..قل لي يا عثمان من هو صانع هذه الكأس؟ إنّها تذكرني في شكلها باغتراب المهاجر إلى أرض غريبة بعيدة..أرض حافلة بالاحلام موشاة بخيوط من الفضة..ترتع فيها الأطيار وتجيش فيها النفس بأصدق العواطف وأنبل المشاعر..

عثمان: من أجل ذلك أتيتك بها على صورة زورق لتنتقل بنا معها إلى عالم الغربة وتهرب بنا معها من عالمنا هذا.

سعدون: "فترة صمت" ينشد أبياتاً ترافقها ضربات موسيقية خفيفة..

وكأسٍ شربناها بماء قرارة... تلقطها السَّاقي بزورق فضةِ

فما زال يسقيني ويَمزُج كأسُه... بزورقه حتى حظيتُ بسكرةِ

فيا غيث خَيّم في ملاعب جنة... فلم أنسَ فيها طيب يوم وليلةِ

عثمان: أحسنت وأجدت وأقسم غير حانث أنّك في القيروان من نظم وأنشد..

أصوات: صدقت. صدقت. يا عثمان..

الحارث: بالمناسبة هل سمعتم آخر الأخبار من بغداد؟

ابن المهدية: حدثنا عنها يا حارث..

الحارث: أخبرني أحد تجار الرقيق أنّ إبراهيم بن المهدي قد غنّى في مجلس الخليفة الأمين ابن أخيه شعراً لأبي نواس فقام إليه الخليفة من مجلسه فقبل رأسه وأمر له بثلاثماية ألف دينار..

عثمان: ماذا تقول يا حارث؟ ثلاثماية ألف دينار؟

الحارث: هذا ما يؤكده صاحب الخبر ويقسم على ذلك أغلظ الأيمان.

ابن المهدية: ولماذا تستغرب هذا الأمر يا عثمان؟

عثمان: لأنّه في الواقع أمر غريب..هل تعلم يا ابن المهدية ما معنى أن يجود الخليفة بثلاثماية ألف دينار؟

ابن المهدية: أعلم ذلك..ولكنّني أعلم أيضاً شيئين آخرين: أنّ دولة الخلافة دولة فائقة الغنى والثراء. وأنّ فنون الغناء والتلحين تحظى بأعظم التشجيع من قبل الملوك والأمراء في بغداد..

عثمان: بل هذا كثير جداً..

ابن المهدية: هو كثير ولكنه ممكن. وليس أدلّ على ذلك من أنّني قد جاءتني الأغنية وعرفت اللحن الذي وضع لها.

الحارث: وأزيدك علماً يا عثمان أنّ إبراهيم بن المهدي قد أكبر العطية فقال للأمين: "يا أمير المؤمنين قد أجزتني حتى اليوم بعشرين ألف درهم" فقال له: وهل هي إلا خراج بعض الكور؟

عثمان: ومع ذلك فإنّني أشك في صحة هذا الخبر كما جئت به يا حارث.

سعدون: وماذا يهمنا نحن يا عثمان في أن تكون العطية ثلاثماية ألف دينار أو ثلاثماية فقط.. المهم هو أن نستمع إلى الأغنية وأن نضعها في ميزان الأصوات المعروفة..

ابن المهدية: كلا يا ورجيني..إنّ قيمة العطية ذات أهمية خاصة بالنسبة لنا نحن المطربين وصانعي الألحان..إنّها تصنفنا في سلم العلوم والفنون.. كما أنّها تفسر ازدهار هذه وتلك في بغداد..

عثمان: صدقت يا ابن المهدية ولذلك أعربت عن شكي في صحة الخبر.

ابن المهدية: أما أنا فقد صدقته لعلمي بحقيقة ما يجري في بغداد..

الحارث: المهم هو أن نستمع إلى الاغنية بصوت ابن المهدية..

سعدون: هذا هو الصحيح "فترة صمت" أين الشراب يا عثمان؟

عثمان:"يرفع صوته" الشراب يا غلام حتى يعتدل مزاج صديقنا الورجيني..

الحارث: والآن لنعد إلى شعر أبي نواس الذي غناه إبراهيم بن المهدي ولعلك قد حفظته جيداً يا ابن المهدية؟ وهو يبدأ بقوله:

يا كَثيرَ النَوحِ في الدِمَنِ

لا عَلَيها بَل عَلى السَكَنِ

"يبدأ الموسيقيون بدوزنة آلاتهم ثم ينطلقون في مقدمة موسيقية ويغني ابن المهدية مقطوعة أبي فراس".....

ابن المهدية: يغني..

يا كَثيرَ النَوحِ في الدِمَنِ

لا عَلَيها بَل عَلى السَكَنِ

سُنَّةُ العُشّاقِ واحِدَةٌ

فَإِذا أَحبَبتَ فَاستَكِنِ

ظَنَّ بي مَن قَد كَلِفتُ بِهِ

فَهوَ يَجفوني عَلى الظِنَنِ

تَضحَكُ الدُنيا إِلى مَلِكٍ

قامَ بِالأَحكامِ وَالسُنَنِ

يا أَمينَ اللهِ عِش أَبَداً

فَإِذا أَفنَيتَنا فَكُنِ

كَيفَ تَسخو النَفسُ عَنكَ وَقَد

قُمتَ بِالغالي مِنَ الثَمَنِ

سَنَّ لِلناسِ النَدى فَنَدَوا

فَكَأَنَّ البُخلَ لَم يَكُنِ

أصوات استحسان خلال الأغنية ثم تصفيق بعدهـــا....

عثمان: ما أظن أنّ إبراهيم ابن المهدي قادر على مثل هذا الآداء..

ابن المهدية: بل هو به جدير يا عثمان.

عثمان: وهذا الطيب والصفاء والجمال في أوتار حنجرتك؟

سعدون: ابن المهدية هو جوهرة القيروان..

ابن المهدية: ومع ذلك فنحن هنا عيلة على المشرق أيها الأخوة..إنّنا ما نزال ننتظر الجديد ونترقب ما تصطنعه خيالات المشارقة وعقولهم..

الحارث: صدق ابن المهدية ولعل زرياب الذي فارقنا إلى الأندلس أن يكون الآية والعلامة..

سعدون: كنا نتمنى أن نستمع إلى المزيد من الغناء..

عثمان: ولا سيما إلى بعض ما تركه فينا زرياب العظيم..

ابن المهدية: ألا ترون أيها الاخوة أنّنا قد اقتربنا من الفجر؟

الحارث: ولماذا لا نقترب من خيوط الشمس عند مطلع النهار؟

عثمان: أعتقد أنّ ابن المهدية قد تعب بعد أدائه هذه الأغنية.

ابن المهدية: الحق أنّي تعبت..فأنا أقترح أن ينفض مجلسنا ونتواعد للتلاقي في مجلس قادم..

سعدون: إذا كانت هذه رغبتك. فليكن موعدنا في مثل هذه الليلة من الأسبوع القادم إن شاء الله..
موسيقـــى نهايـــة....